

اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي اخرجنا من حدود البهيمية إلى حدِّ الانسانية بولاية عليٍّ و آل علي , و الحمد لله الذي اكملَ ديننا و اتمَّ النعمة علينا بمودة عليٍّ و آل علي , و الحمد لله الذي طيَّب موالِدنا و طهَّر خلقتنا بمحبة عليٍّ و آل علي , و الحمد لله بِجميعِ محامِده كُلِّها على اعظمِ نعمة و اسبغ آلائه اعني علياً و آل علي صلوات الله عليهم اجمعين , و الصلاة على سيِّدنا و نبيِّنا , شفيع ذنوبنا , املنا في الدنيا و الآخرة , هادينا من الضلالة و مخرِجنا من خيرة الجهالة , خاتم الانبياء و المرسلين ابي القاسم مُحَمَّد و آله الطيِّبين الطاهرين , و اللعنة الدائمة على اعدائهم و اعداء شيعتهم إلى يوم الدين .

اللهم ارني في آل مُحَمَّد ما يأملون , و ارني في عدوِّهم ما يحذرون

وصل بنا الكلام في يوم الجمعة الماضي إلى الرواية التي يرويها اسماعيل بن جابر عن إمامنا ابي جعفر صلوات الله و سلامه عليه , انه قال ... المقطع الاول من الرواية كنتُ قد شرَّحته في الاسبوع الماضي , و انتقل الى المقطع الثاني من الرواية لأننا كُنَّا قد شُغِلنا في يوم الجمعة الماضي في شرح المقطع الاول من الرواية الشريفة ( ثم قال ابو جعفر عليه السلام ) الإمام هنا يتحدَّث عن الساعة التي يظهر فيها إمامنا صلوات الله و سلامه عليه , اول ظهوره الشريف و ماذا يفعل ( و الله لكأنِّي انظرُ اليه ) ينظر إلى الإمام الحجة صلوات الله عليه ( و قد اسندَ ظهره الى الحجر . في البيت . فينشدُ الله حقَّه ثم يقول , يا ايها الناس , مَنْ يُحاجُّني في الله فانا أولى الناس بالله , ايها الناس مَنْ يُحاجُّني في آدم فانا أولى الناس بآدم , ايها الناس مَنْ يُحاجُّني في نوح فانا أولى الناس بنوح , ايها الناس مَنْ يُحاجُّني في ابراهيم فانا أولى الناس بابراهيم , ايها الناس مَنْ يُحاجُّني في موسى فانا أولى الناس بموسى , ايها الناس مَنْ يُحاجُّني في عيسى فانا أولى الناس بعيسى , ايها الناس مَنْ يُحاجُّني في مُحَمَّد صلى الله عليه و آله فانا أولى الناس بِمُحَمَّد صلى الله عليه و آله , ايها الناس مَنْ يُحاجُّني في كتاب الله فانا أولى الناس بِكتاب الله , ثم ينتهي الى المقام فيصليّ عنده ركعتين و يُنشدُ الله حقَّه , ثم قال ابو جعفر عليه السلام , و هو و الله المضطرُّ الذي يقول الله فيه , مَنْ يُجيب المضطرَّ اذا دعاهُ و يكشف

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

السوء و يجعلكم خلفاء الارض , فيه نزلت و له ) صلوات الله و سلامه عليه , هذا تمام الرواية الشريفة و قلت في اول حديثي , الشطر الاول او النصف الاول من الرواية كُنا قد شرحناه في يوم الجمعة الماضية , اليوم نتناول ما تبقي من الرواية الشريفة .

( و الله لكأني انظر اليه ) و هذا المعنى لم تكن هذه الرواية لوحدها ذكرته و انما وردت روايات كثيرة عن اهل بيت العصمة صلوات الله عليهم اجمعين تُبين لنا ما يفعله الإمام او ما هو الحال الذي يكون عليه الإمام صلوات الله و سلامه عليه في الساعات الاولى لظهوره الشريف , و هذه الرواية هنا انما تتحدث عن المراسم الاولى لأخذ البيعة الاولى على خاصة اصحابه صلوات الله و سلامه عليه , لأن الإمام اولاً يظهر فيسند ظهره الى الكعبة كما في روايات اهل البيت , بعد ذلك يخطب خطبته و هذا مقطع من الخطبة و إلا في روايات اخرى ذكرت الخطبة مفصلة اكثر من هذا , هذا مقطع من الخطبة , بعد ان يخطب بالناس , بعد ذلك يقوم رجل من اصحابه فيأخذ البيعة له على خاصة اصحابه الذين اجتمعوا في مكة و الذين منهم هذه الطائفة التي بلغت الاربعين او قاربت الاربعين .

( و الله لكأني انظر اليه و قد اسند ظهره الى الحجر ) اسند ظهره الى الحجر , الاسناد , هنا يُقال فلان اسند ظهره , تاتي بمعنيين , المعنى الاول اسند ظهره يعني هو متمكن , متمكن من القيام , متمكن من الوقوف لكنه هكذا يُسند ظهره الى الكعبة , و تارة الاسناد يكون للانسان المريض و العاجز و لذلك مثلاً قد يُقال للعمود الذي يعتمد عليه البيت في البناء , يُقال له سند البيت يعني ان البيت ينائه او هذه الحيمة بكُلها مُستندة الى هذا العمود الوسطي في الحيمة فلو سقط هذا العمود تسقط الحيمة , هذا ايضا يُقال له اسناد لكن المراد هنا ( اسند ظهره الى الكعبة ) من المعنى الاول كالذي يتكوى , يعني اتكأ على الكعبة ( و الله لكأني انظر اليه و قد اسند ظهره الى الحجر ) الى الحجر الاسود الذي يكون في ركن من اركان الكعبة , بالنتيجة الحجر الاسود ليس هو في وسط الكعبة و إنما يكون الحجر الاسود في ركن من اركانها , فالإمام صلوات الله و سلامه عليه يكون واقفا عند ذلك الركن الذي يكون فيه الحجر الاسود , يعني الكعبة منذ بداية بنائها و الى اليوم , الحجر الاسود يوضع في ركن من اركانها , فالإمام صلوات الله و سلامه عليه الرواية تصفه انه يستند الى ذلك الركن , المقصود هنا يُسند ظهره الى الحجر ليس الى نفس الحجر و إلا هو الحجر الاسود حجمه صغير و الحجر الاسود موضوع داخل البناء , داخل نفس الكعبة , مقصود اسند ظهره الى الحجر يعني الى الركن الذي يوضع فيه الحجر الاسود ( و الله لكأني انظر اليه و قد اسند ظهره الى الحجر ) و الائمة صلوات الله عليهم اجمعين انما يذكرون هذه المعاني و بهذه التفصيلات , حتى يذكرون كيفية جلوسه او كيفية قيامه صلوات الله و سلامه عليه , ذكروهم لهذه الامور فيه عدة ابعاد , البعد الاول

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

اشعارهم للناس و لشيعتهم بنحو خاص , اشعارهم انهم يعلمون بكل دقائق الامور و لذلك تراهم في كل حادثة , في كل واقعة من الوقائع المستقبلية لربما يذكرون فيها من الدقائق و من التفاصيل التي تغيب عن ذهن الانسان حتى لو كان حاضرا في تلك الواقعة , تغيب عن ذهنه فيلتفت الى جزئياتها , الغاية من ذكر هذه التدقيقات , الغاية من ذكر هذه التفاصيل , اولاً كي يشعروا الناس بنحو عام , إن علموا بكلام اهل البيت و الآ الكلام بالخصوص موجّه الى شيعتهم , الكلام بالخصوص موجّه الى محبيهم , الكلام بالخصوص موجّه الى الذين ينتظرون إمامهم صلوات الله و سلامه عليه , يشعرونهم انهم عالمون بكل التدقيقات , بصغائر الامور و بعظائمها , بالنتيجة الدنيا و ما فيها , السماء و ما فيها , الماضي و الحاضر و المستقبل و كل مظاهر الوجود بيد المعصوم صلوات الله و سلامه عليه و ظاهرة بين يدي المعصوم كظهور كفه كما عبرت الروايات الشريفة الواردة عنهم صلوات الله عليهم اجمعين , ككفه التي يُقَلَّبُها , و في الرواية الإمام صلوات الله و سلامه عليه يُقَلَّبُ كفه هكذا عندما يتحدّث عن علمه الشريف صلوات الله و سلامه عليه , فالغاية الاولى او المضمون الاول لذكر الائمة لهذه الاشارات هو هذا , إلفات نظر شيعتهم الى مصداق من مصاديق علمهم في كل جزئيات الامور و في كل كليات الامور , هذا اولاً .

و ثانياً , ايضاً في ذكرهم لهذه التفاصيل إنما يكشفون الفتنة عن قلوب اشياعهم , الشيعة الذين يعلمون كيفية ظهور الإمام صلوات الله و سلامه عليه من خلال كلمات اهل البيت قد لا يُفَتَنُّون او تكون الفتنة بالنسبة اليهم اقل شدّة , عندما يكونون قد علموا في كيفية ظهوره , في كيفية خطابه , في كيفية كلامه و سائر الجزئيات الاخرى فهم يذكرون الكليات مع الجزئيات حتى لا يقع محبّوهم في الفتنة او تكون الفتنة عليهم اهون من غيرهم , هذا ثانياً , و ثالثاً هناك بُعد ثالث , البعد الاول قلت يلفتون انظار اشياعهم الى علمهم بكل الجزئيات و بكل التدقيقات , و ثانياً لمساعدّة اشياعهم حينما تكون فتنة الظهور يكونون على بينة من الحال , يكونون على بينة من الامر , فإن لم ينحوا من الفتنة , على الاقل تكون الفتنة بالنسبة اليهم اهون , يكون حالمهم اهون من غيرهم في تلقّي تلکم الفتنة و مواجهة ذلك الابتلاء , هذا المعنى الثاني , و المعنى الثالث , يريدون من اشياعهم في زمن غيبة مهديهم صلوات الله عليهم اجمعين , يريدون من اشياعهم ان يتمثلوا جميع حالات الإمام لأنّ الذي ينتظر هكذا بدون معرفة , الذي ينتظر شخصاً بدون ان يعرفه , بدون ان يرى شكله , بدون ان يعرف افعاله , بدون ان يعرف ماذا يصنع , الانتظار قد يكون خالياً من المعنى , إن لم يكن خالياً من المعنى فالانسان حينئذ لا يعيش معنى الانتظار في الجنبّة العاطفية , ربّما فقط من الجهة العقلية , اما اذا كان الائمة صلوات الله عليهم اجمعين صوّروا لنا حالات الإمام صلوات الله و سلامه عليه , كيف يظهر و كيف يجلس و كيف يقوم و كيف يقعد و كيف يخطب , هذه الحالات بالنتيجة

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

تربطنا بالإمام صلوات الله و سلامه عليه رابطة وثيقة و من هنا أكدَّ ائمتنا صلوات الله عليهم اجمعين على ذكر مصيبة سيّد الشهداء , نحن لم نشهد الواقعة لكن لانّ الشيعة واطبّت على تكرار ذكر هذه المصيبة اصبحت المصيبة معروفة حتى عند ذلك الذي لم يكن قد رأى كتاباً في عمره . من الشيعة . لا اقول أمياً لا يقرأ , لا , لم ير كتاباً , حتى في القبائل البدوية التي تقطن البادية , معنى مصيبة سيّد الشهداء جملةً او تفصيلاً , ثبت في اذهان المجتمع الشيعي , و نتيجةً لشيوعه في المجتمع الشيعي سرى للمجتمعات الاخرى , فتأكدت الاثمة صلوات الله عليهم اجمعين على مصيبة سيّد الشهداء و بالذات على ذكر المصيبة و ما جرى على سيّد الشهداء و بجد هذا واضحاً في اي شيء ؟ اولاً في الزيارات , في زيارات اهل البيت بجد هذا المعنى واضحاً , الاشارة , بل في الزيارة المروية عن الإمام الحجة , زيارتان , زيارة سيّد الشهداء , زيارة الناحية المقدسة , تفصيل كامل لواقعة المقتل , و زيارة الشهداء التي خرجت من الناحية المقدسة , ذكر اسماء الشهداء واحداً واحداً و ذكر كيفية قتله و اللعن على قاتله , الزيارة التي خرجت مُرادفة لزيارة الناحية المقدسة , معروفة بزيارة شهداء الناحية , زيارة الشهداء التي خرجت من الإمام الحجة صلوات الله و سلامه عليه , بجدها في ( إقبال الاعمال ) و في غير ( إقبال الاعمال ) من كتب الادعية و الزيارات الشريفة ( إقبال الاعمال ) للسيد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه , هذا المعنى بجد واضحاً في الزيارات و بجد واضحاً في روايات اهل البيت بل قد يبلغ الحال بالإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه ان يُخرج طفلاً رضيعاً لاصحابه لتمثيل واقعة الرضيع و هذا المعنى مذكور في حياة إمامنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه , او تاكيدهم بل انّ الإمام يطلب بلسانه من الشعراء و من النائحين على سيّد الشهداء ان يُنشدوا في سيّد الشهداء صلوات الله و سلامه عليه , و إمامنا الباقر في جملة وصاياه انفق اموالاً طائلة تُعطي لِنائحات يُنحَن عليه في مكة , اموال طائلة بعد وفاته صلوات الله و سلامه عليه , الاثمة بهذه الاساليب , نحن لا نريد ان ندخل في تفصيلات هذا المطلب , ليس الحديث عن التعامل مع مصيبة سيّد الشهداء لكن هذا ذكرته على سبيل المثال و التوضيح , انّ اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين انما ارادوا في تاكيدهم على ذكر جزئيات ما وقع على سيّد الشهداء لتثبيت هذا المعنى لانّ الانسان اذا كان بعيداً في الزمان و المكان عن الواقعة , بالنتيجة لا يتحسّس معانيها , فبالنسبة لروايات الإمام الحجة صلوات الله و سلامه عليه لَمَّا تتحدّث عن هذه الجزئيات لم يكن الحديث هنا جُزافياً هكذا لاجل الحديث , لم يكن الحديث لاجل الحديث و انما لهذا الحديث غايات و غايات , من جملة هذه الغايات , التي ذكرتها , اولاً اشعاراً لشيعتهم بأنهم عالمون بكلّ الجزئيات , بكلّ الدقائق , و ثانياً لكشف الفتنة عن وجوههم , عن قلوبهم حينما يطلعون على جزئيات الظهور , و ثالثاً انهم يريدون من الذين يعيشون في زمن غيبة الإمام صلوات الله و سلامه عليه ان يعيشوا ,

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ان يتصوّروا , ان يتخيّلوا , ان يعيشوا الصوّر التي سيكون فيها إمامنا صلوات الله و سلامه عليه في حين ظهوره , بالنتيجة الانسان الذي تُرسم في ذهنه الصورة مُفصّلة , كيف يظهر و ماذا يقول , هذا يدفّعه للاشتياق , هذا يدفّعه للشوق , هذا يدفّعه لِطَلْب و لِتَعْجِيل و لِدَعَاءِ الباري سبحانه و تعالى بِتَعْجِيل فَرَج الإمام صلوات الله و سلامه عليه و لذلك كلمات اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين لا بد حينما نمرّ عليها و حينما نُطالعها و حينما نسمّعها , لا هكذا نتلوها كما نتلو ما يُكتَب في الصحف و المجلات , كما يُكتَب في كُتُب التاريخ , المؤرّخ يكتب الحوادث لاجل الحوادث لا اكثر , لَمّا يأتي المؤرّخ فيؤرّخ لِحادثة من الحوادث التي وقعت في يوم ما و يذكرها بتفاصيلها , يريد من ذلك ماذا ؟ اولاً يريد ان يُثبت الحادثة لاجل اثباتها لا اكثر , هذا اولاً , و ثانياً ليُظهر قدرته في كتابة التاريخ و انه اكثر قدرة من غيره , فالذي يلزم علينا ان لا نتعامل مع كلمات اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين ؟؟؟ و لذلك في الايام الماضية حتى عندما نمرّ ( اطرق الإمام ) نحن نُشير الى بعض دلالاتها ( سكّت الإمام ) نُشير الى معنى سكوته ( التفت الإمام ) نُشير الى معنى التفاته , اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين في كل افعالهم , في حركاتهم , في سكتاتهم ما هم يتصرّفون او يفعلون كالفعل العادي الذي نفعله نحن , كفعالنا الاعتيادية , بالنتيجة لِكل حركات اهل البيت و لِكل سكتاتهم دلالات و دلالات و كل يغتفر بحسب وعائه , بالنتيجة هذا الذي نُبيّنه لا يعني هو هذا تمام المعنى و انما نغترف بقدر ما يتحمّل وعاوننا ان نغترف و إلاّ تبقى اغوار كلام اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين لا تُسبر بهذه السهولة خصوصاً و انّ الكلام في مثل هذه المجالس كلام مذكور على نحو الاختصار , كلام مذكور على نحو الايجاز لا على نحو التفصيل و الاطناب في بيان معاني كلماتهم صلوات الله عليهم اجمعين ( ثم قال ابو جعفر عليه السلام , و الله لكأني انظر اليه و قد اسندَ ظهره الى الحجر فيُنشِد الله حقّه ) و حتى في اسناد الإمام صلوات الله و سلامه عليه ظهره الى الحجر , الكلام الذي ذكرته قبل قليل , انه المراد من ذكر اهل البيت لِكل التدقيقات , بيّنت العِلل بِشكل اجمالي , قلتُ اولاً لبيان و لإلفات انظار شيعتهم انهم يعلمون بدقائق الامور و بعظائمها , هذا اولاً , ثانياً لمساعدة شيعتهم في انكشاف الفتنة عن قلوبهم او على الاقل ان تكون الفتنة اهون بالنسبة لشيعتهم اذا كانوا يعلمون بِجزئيات الامور فضلاً عن كلياتها , و المسألة الثالثة انهم يريدون من الذين ينتظرون إمام زمانهم في زمن العيبة الشريفة , ينتظرون الإمام صلوات الله و سلامه عليه , يعيشون الصوّر التي يكون فيها حال الإمام صلوات الله و سلامه عليه في زمن غيبته , في زمن ظهوره , هذه المضامين الثلاثة المقصود منها بيان العلة التي لاجلها يذكر اهل البيت الجزئيات في الحوادث , اما انّ الإمام يُسند ظهره الى الحجر , ما في ذلك من دلالة , هل هو فعلٌ عادي , يعني كما استند الآن الى الجدار ؟ هل هو فعل عادي ؟ او نتيجة لآلام في

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام  
 ظهره يُسند ظهره الى الحجر ؟ قطعاً ليس المراد هذا لأنّ الحجر الاسود موضع تقديس الناس و الذي يُقدّس  
 الحجر أنّما يتمسّحُ به , أنّما يلثمُهُ , و الناس أنّما تدور حول الكعبة لِتَفْعَلَ هذا , أمّا الإمام يستند على الحجر  
 يريد ان يُبَيِّنَ أنّه هو اقدس من الحجر صلوات الله و سلامه عليه , و ما قيمة الحجر , ما قيمة هذه الآثار ؟  
 و إن كانت الناس في ذهنيّاتها الجاهلة تطوف بِتَلْكُمُ الاحجار و تتمسّح بالآثار و تترك اهل البيت صلوات  
 الله عليهم اجمعين و لذلك روايات متعدّدة , ربّما في دروسنا في شرح ( هَجّ البلاغة ) الشريف تلوّنا عليك  
 بعض الروايات الموجودة في كتاب ( الوسائل ) و في غير كتاب ( الوسائل ) الشريف , انّ الإمام صلوات  
 الله و سلامه عليه يرى الناس يطوفون , يقول و الله ما أمروا ان يطوفوا بهذه الاحجار , أمروا ان  
 يطوفوا بها و يأتوا الينا , و إلّا ليس العلة و لذلك في رواياتنا ( تَمَامُ الْحَجِّ لِقَاءَ الْإِمَامِ ) كما انّ تَمَامُ  
 الدين و ولاية عليّ صلوات الله و سلامه عليه تَمَامُ الْحَجِّ ايضاً لقاء الإمام و تجديده العهد بالإمام المعصوم  
 صلوات الله و سلامه عليه , كمالُ الْحَجِّ لِقَاءَ الْإِمَامِ ( لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ) في رواياتنا الشريفة , يقضوا تَفَثَهُمْ  
 بلقيا الإمام , الروايات الواردة عن اهل البيت في معنى ( لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ ) بأيّ شيء ؟ التَفَثُ  
 هو الاوساخ , هذا بعد تَمَامِ الْحَجِّ , يعني الْحَجُّ لَمْ يَكُنْ هُوَ الَّذِي ازالَ اوساخَهُمْ و أنّما ( لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ )  
 بلقيا الإمام , لقيا الإمام هي التي تُزيل اوساخَهُمْ , الْحَجُّ الَّذِي تُعْفَرُ فِيهِ الذنوب لا هذا الطواف بالاحجار ( لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ )  
 كما تقول الروايات يُقضى التَفَثُ بلقيا الإمام صلوات الله و سلامه عليه , فالإمام صلوات  
 الله عليه عندما يُسند ظهره الى الحجر يريد ان يُشير الى معنيين , المعنى الاول انّ هذا الحجر حجرتنا و هذا  
 البيت بيتنا , و هذه مكة مكنتنا , و هذا التشريف الذي في مكة لولادة عليّ صلوات الله و سلامه عليه فيها  
 , هذا الحجر حجرتنا , نعم الناس تطوف حوله , أمّا هذا الحجر حجرتنا و لذلك يُسند ظهره صلوات الله  
 سلامه عليه , و المعنى الآخر ايضاً يريد ان يُشير بهذا الفهم لانه عادةً الذي يعطي لِشَيْءٍ التقدّيس الكثير ان  
 يتمسّح به , مثلاً بهذا الحجر , ان يلثمُهُ لا ان يُسند ظهره اليه و هو يريد ان يخطب , على الاقل ان يجعله  
 بين يديه , يريد ان يُبيِّنَ للناس و لذلك في حُطْبَتِهِ الشريفة بيّنَ أنّه هو اولى الناس بالله , اولى الناس بالانبياء  
 , اولى الناس برسول الله , اولى الناس بكتاب الله , بيّنَ هذا المعنى في الكلمات التي ستأتينا في نفس هذه  
 الرواية الشريفة , و هناك دلالة اخرى ايضاً , أنّه صلوات الله و سلامه عليه أنّما يُسند ظهره الى الله , دلالة  
 اخرى تُضاف الى هذه الدلالات أنّما يُسند ظهره الى الحجر , أنّما يُسند ظهره الى الله لأنّ هذه المواضع  
 مواضع نُسِبَتْ الى الله سبحانه و تعالى لكنها نُسِبَتْ الى الله . كما بيّنا فيما سلف . لأنّ فيها آثار اولياء الله ,  
 لأنّ فيها آثار اجداده الطاهرين ( ثم قال ابو جعفر عليه السلام , و الله لكأني انظر اليه و قد اسندَ  
 ظهره الى الحجر فيُنشِدُ الله حقّه ) انشدَ , طلبَ , و فلان نشدَ من فلان , طلبَ منه ( فيُنشِدُ الله حقّه )

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ج ٧

( يعني فيطلب من الله حقه ) ثم يقول , يا ايها الناس ( المراد هنا ( فيُنشِدُ اللهُ حَقَّهُ ) ) اِما المراد انه في اثناء خُطْبَتِهِ يُخَاطَبُ الباري سبحانه و تعالى ان يُعْطِيَهُ حَقَّهُ , و المراد ( ان يُعْطِيَهُ ) حَقَّهُ بالنتيجة ليس لِمَخْلُوقِ حَتَّى لِكُلِّ المخلوقات , في اصل الحَقِّ , الحَقُّ اللهُ سبحانه و تعالى , المراد هنا ( يُنْشِدُ اللهُ حَقَّهُ ) و ان كان لأهل البيت حَقٌّ على الله لكن حَقٌّ على الله , الله فَرَضَهُ لاهم الذين فرضوه و لذلك في زيارتنا الشريفة او في ادعيتنا انه تُقَسِّمُ على الله بِحَقِّ اهل البيت عليه و تُقَسِّمُ على اهل البيت بِحَقِّ الله على اهل البيت , هذا المعنى ثابت و ليس لِمَخْلُوقِ حَقٌّ على الله إلا لأهل البيت و إلا حتى الانبياء ليس لهم من حَقٍّ و لذلك ايوب على نبينا و آله و عليه افضل الصلاة و السلام بعد ان اخرجوه من المدينة و القصة واضحة ربما في اذهانكم , المرَضُ الذي اصابه , الى ان الناس كلهم نفروا منه , بقي مَلَأُ قَلِيلٌ من الناس , انفار من خُلَصَّ اصحابه , في يوم من الايام جاءوا اليه و رأوا حال ايوب في كل يوم يكون انعس من اليوم الذي سبق فقالوا له , اَحَدُهُمْ قال له , قال يا نبيَّ اللهُ انت لا بد ان فعلتَ ذنباً مع الله و هكذا يفعل بك , يعني هذا الحال الذي نراه فيك لا بد انك فعلتَ شيئاً فَعاقَبَكَ اللهُ بهذا و إلا نحن في كل يوم نأتيك بِجِدِّكَ في حال اسوأ من الحال التي قبلها , على الاقل اننا ندعو لك , انت تدعو لِنَفْسِكَ , فيقولون ان ايوب تأذى كثيرا من هذا الكلام , من هذه الحالة , بالنتيجة هؤلاء اقرب الناس اليه اخذوا هكذا ينظرون اليه , هكذا يظنون فيه , يقولون جلسَ جلسةَ المِحَاجِجِ , تقول الرواية الشريفة , جلسَ جلسةَ المِحَاجِجِ و قال لو كان هناك حِجَاجِ لِحَاجِجَتِكَ يا رَبِّي , اي ذنبٍ اذنبْتُ ؟ و يأتي النداء من الباري , من غيمة , صوت من جميع الجهات , مئات و آلاف الاصوات , ما قيمتك انت يا ايوب حتى تُحَاجِجَ ! ما قيمتك انت ؟ و الذي يظهر من سائر حياة الانبياء انه حتى للانبياء لا يوجد لهم حَقٌّ على الله , نعم لأهل البيت حَقٌّ على الله و هذا الحَقُّ هو فَرَضُهُ لهم , الباري سبحانه و تعالى فَرَضَهُ لهم و لذلك نجد في زيارتنا الشريفة , في رواياتنا الشريفة , في ادعيتنا الشريفة اننا نُقَسِّمُ على الله بِحَقِّ اهل البيت , و نُقَسِّمُ عليه ايضا بِحَقِّ الله على اهل البيت ( بِحَقِّكَ عليهم و بِحَقِّهِمُ عليك ) هذا المعنى يتكرر في زيارتهم و في الادعية المروية عنهم صلوات الله عليهم اجمعين , فالمراد هنا ان الإمام يُنْشِدُ حَقَّهُ , اما في اثناء خُطْبَتِهِ يُبَيِّنُ هذا المعنى و اِما ان يرفع يَدَيْهِ بالدعاء لانه انشده او نَشَدَ ايضا تأتي بِمَعْنَى دَعَا ( فيُنْشِدُ اللهُ حَقَّهُ ثم يقول , يا ايها الناس , مَنْ يُحَاجُّني في الله فانا اولى الناس بالله ) يبدأ الإمام صلوات الله و سلامه عليه الى معنى المِحَاجَّةِ او المِحَاجَّةِ , لماذا يُشير الإمام صلوات الله و سلامه عليه الى معنى المِحَاجَّةِ او المِحَاجَّةِ ؟ باعتبار انه صلوات الله عليه في اول ظهوره سيلقى ما يلقي من الناس , و في رواياتنا الشريفة انه يلقي من الذين يُحْسَبُونَ على الاسلام بل على التشيع اكثر ممَّا يَلْقَاهُ من النصارى و من اليهود , لأنه في رواياتنا و يأتينا باب في هذا الكتاب ايضا

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

موجود , انه يتأذى اكثر مما اودى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم , لماذا ؟ لان رسول الله . كما تقول الرواية . جاء و الناس تعبد الحجاره و اما الإمام يأتي و الناس تتأول عليه كتاب جدّه و سنّه جدّه , هو النصراني , يعني البابا يوحنا الذي يتأول على الإمام كتاب جدّه و سنّه جدّه ؟ او علماء الازهر ؟ قطعاً علماء الشيعة الذين يتأولون على الإمام صلوات الله و سلامه عليه كتاب جدّه و سنّه جدّه و هذا يظهر من خلال تتبع روايات اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين المعنى جلياً واضحاً في ان الإمام صلوات الله عليه يذبح علماء النجف بسيفه الشريف صلوات الله و سلامه عليه , فإمّا الإمام هنا يشير هنا الى معنى المحاجة و المحاجة لانه سيواجه محاجة عظيمة من قبل الناس , مُحاججة عظيمة من قبل الناس , لانه اذا كانت المحاجة من نفس من ينسب الى التشيع يتأول عليه كتاب جدّه و سنّه جدّه بل يُخاطبه ان ارجع فلسنا بحاجة اليك , ان دين جدك بخير , هذا منقول عن علماء النجف , عن كبار علماء النجف , يخرجون الى خارج النجف حينما يأتي الى النجف بعد ان يظهر في مكة صلوات الله و سلامه عليه , ارجع فإن دين جدك في خير , فإذا كان الإمام يُواجه من ينسب الى التشيع بهذا النحو من المواجهة , يُواجه صلوات الله و سلامه عليه , قطعاً من غيرهم تكون المواجهة اشد و لذلك مواجهة الإمام ستكون بالسيوف اولاً قبل ان تكون المواجهة باللسان و المحاجة اللسانية لكن بالنتيجة الإمام يقيم الحجة على الناس اولاً و يُبين لهم طريق الرشاد من طريق العي و بعد ذلك يأتي القول الفيصل و يأتي الكلام القاطع بسيف ذي الفقار ( يا ايها الناس , من يُحاجني في الله فانا اولى الناس بالله ) يعني ايها البشر , يا بني آدم , من يريد ان يدعي انه يُناقش عن الله , ينتسب الى الله و يدعو الى الله , يقول اي حمل الفكرة الفلانية منسوبة الى الله , فانا اولى الناس بالله , اذا انتسبتم الى الله فانا اولى الناس بالله , اذا انتسبتم الى آدم , يعني معنى الانسانية , بالنتيجة هناك من الطوائف كطوائف الصوفية , بعض طوائف الصوفية اصلاً حتى لا تُقدّس الانبياء بل يرون في اعظم صوفيّتهم من هو افضل من الانبياء , الفرقة القادرية , الطريقة القادرية , طريقة عبد القادر الكيلاني , ماذا يرون في عبد القادر الكيلاني ؟ يرون . بعضهم . انه برتبة النبي و ان النبي صلى الله عليه وآله قال له يا عبد القادر اوتيت الاسم الاعظم و ان قدمك على اعناق كل الانبياء , من عهد آدم الى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم , و انه النبي هو الفاتح و عبد القادر الكيلاني هو الخاتم , بعضهم يرون عبد القادر . من اصحاب الطريقة القادرية . بمقام النبي , و بعضهم يرونه افضل من النبي صلى الله عليه وآله و سلم , بالنتيجة طرق الصوفية متعددة , الآن ليس الحديث عن الصوفية و طرائقهم و مشايخهم لكن الذي عنده خبرة بطرائق الصوفية يجد مثل هذا الكلام , اثم يقولون نحن نتصل بالله سبحانه و تعالى بدون الوسائط التي نصبها للعباد و هذه عبادة ابليس , العبادة الابليسية , بالنتيجة هناك من يدعي هذا المعنى ,

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

الفلاسفة ايضا , المدارس الغربية و حتى بعض الذين ربما يُنسبون الى الاسلام يدعون هذا المعنى , انّ الفلاسفة ليس بحاجة الى انبياء و أنّما الانبياء يعثّهم الله لعامة الخلق و إلاّ الفيلسوف كامل في نفسه , هذه المعاني موجودة في بعض المدارس , المدارس الغربية و حتى المدارس الشرقية و حتى بعض الذين يُنسبون الى الاسلام ايضا , هذه الافكار موجودة و مطروحة في كتبهم , و اصحاب الخبرة بهذه المسائل هذه الامور واضحة لديهم .

فالذي يدعو الى الله و ينسب فانا اولى الناس بالله كما يقول صلوات الله عليه , الذي يدعو الى معنى الانسانية , ايها الناس الذي يريد ان ينسب الى آدم , و صيحات كثيرة في العالم تُنادي بالانسانية ( فانا اولى الناس بآدم ) الذي يدعو الى ابراهيم فانا اولى الناس بابراهيم , موسى , عيسى , نوح و سائر الانبياء , بالنتيجة الإمام صلوات الله و سلامه عليه أنّما يذكر هذه الاسماء لأنّ هؤلاء ديانتهُم كانت ديانة عامة و لأنّ ديانتهُم بقيت لها بعض الآثار كالديانة الموسوية او الديانة العيسوية , و من كان يدعو الى نبينا صلى الله عليه و آله و سلم , هذا الذي يدعي أنّه من أمة الاسلام , فانا اولى الناس بالنبي المصطفى صلى الله عليه و آله , و من كان يدعو الى كتاب الله فانا اولى الناس بكتاب الله , الإمام صلوات الله و سلامه عليه هنا يفتح باب المحاججة على مصراعيه , يعني ايها البشر , في اي باب انتم تُحاججون انا اولى بهذا الباب و انّ مرجعكم اليّ في هذا الامر و لذلك يُنقل في بعض رواياتنا الشريفة , و ربما تأتينا الاشارة اليه في الايام القادمة , الجُمعات الآتية ان شاء الله , انّ الإمام في يوم من الايام يجمع كل علماء الارض و يُحاججهم جميعا , كل علماء الارض من علماء الاديان او غيرهم , و يُحاججهم جميعا فيثبت بطلان صاحب القول الباطل و يُثبت احقيّة صاحب القول الحق , و الذي يبقى على بُطلانه يلقي جزاءه , و الذي يؤوب الى الحق يؤوب الى الحق بالنتيجة و هو هذا الذي يريدّه الإمام صلوات الله و سلامه عليه من الناس ( يا ايها الناس , من يُحاجني في الله فانا اولى الناس بالله , ايها الناس من يُحاجني في آدم فانا اولى الناس بآدم , ايها الناس من يُحاجني في نوح فانا اولى الناس بنوح , ايها الناس من يُحاجني في ابراهيم فانا اولى الناس بابراهيم ) يعني الإمام يريد ان يقول , حتى الانبياء الماضين , الانبياء الذين غبرّت أممهم كنوح على نبينا و آله و عليه افضل الصلاة و السلام , حتى على هذا الاحتمال و إن كان لا يوجد هناك من يُنسب الى نوح في ايامنا هذه , حتى الانبياء الغابرين لو انشقت الارض و خرّج الموتى و دعوا الى نوح فانا اولى الناس بنوح ( ايها الناس من يُحاجني في ابراهيم فانا اولى الناس بابراهيم , ايها الناس من يُحاجني في موسى فانا اولى الناس بموسى , ايها الناس من يُحاجني في محمد صلى الله عليه و آله فانا اولى الناس بمحمد صلى الله عليه و

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ج ٧

آله , ايها الناس مَنْ يُحَاجُّنِي فِي كِتَابِ اللَّهِ فَاَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ ( أما ما المراد من كلمة ( اولى ) الآن المعنى الاجمالي لهذا المضمون الذي ذُكِرَ في بعض خُطْبَتِهِ الشريفة صلوات الله و سلامه عليه , معنى المِحَاجَّةِ هنا بالشكل الاجمالي بَيَّنَّهُ الإمام , بَيَّنَّهُ من جهة أنّ الإمام فَتَحَ باب المِحَاجَّةِ على مصراعيه , مَنْ كَانَتْ لَهُ حُجَّةٌ فَاَنَا أَوْلَى بِتِلْكَ الْحُجَّةِ , لِماذا ؟ لِماذا كان الإمام اولى بِكُلِّ هذه الحُجَجِ ؟ لانه حُجَّةُ اللَّهِ وَ حُجَّةُ اللَّهِ مَطْلُوقَةٌ لَا تُقَيَّدُ بِحَدٍّ , لَا تُقَيَّدُ بِقَيْدٍ وَ لَا تُحَدَّدُ بِحَدٍّ , الإمام حُجَّةُ اللَّهِ المَطْلُوقَةُ الَّتِي لَا تُقَامُ عَلَيْهَا حُجَّةٌ , رَئِبًا هَذَا الْمَعْنَى شَرَحْتُهُ فِي الدرس الماضي فِي شرح ( الحُطْبَةُ الشَّقِشَقِيَّةُ ) وَ إِن شَاءَ اللَّهُ أَكْمَلَهُ فِي يَوْمِ غَدٍ بِاعتبار درس ( تَهْجِ الْبَلَاغَةِ ) فِي يَوْمِ غَدٍ جَارٍ عَلَى رِيسَلِهِ , أنّ الإمام تُقَامُ عَلَيْهِ الحُجَّةُ ؟ الإمام لَا تُقَامُ عَلَيْهِ الحُجَّةُ , عِنْدَمَا وَصَلْنَا ( لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ , وَ قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ) قُلْتُ يَعْنِي عِنْدَمَا يَوْجَدُ الْإِنصَارُ هَلْ يَعْنِي أَنَّ الْحُجَّةَ تُقَامُ عَلَى الْإِمَامِ الْمَعصُومِ ؟ قَطْعًا لَا , الْحُجَّةُ لَا تُقَامُ عَلَى الْإِمَامِ الْمَعصُومِ , هَذَا الْمَعْنَى شَرَحْتُهُ , إِن شَاءَ اللَّهُ أَمَّمْ شَرَحَهُ فِي يَوْمِ غَدٍ فِي درس ( تَهْجِ الْبَلَاغَةِ ) الشريفة , الإمام لانه حُجَّةُ اللَّهِ المَطْلُوقَةُ , وَ حُجَّةُ اللَّهِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُقَامَ عَلَيْهَا حُجَّةٌ , هَذَا نَقْصٌ فِي اللَّهِ , نَقْصٌ نَسَبُهُ إِلَى اللَّهِ , إِذَا تَصَوَّرْنَا أَيَّ مَخْلُوقٍ أَوْ أَيَّ مَعْنَى أَوْ أَيَّ عِلْمٍ أَوْ أَيَّ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حُجَّةً عَلَى حُجَّةِ اللَّهِ , حِينَئِذٍ كَانَتْ حُجَّةُ الْخَالِقِ أَعْلَى مِنْ حُجَّةِ اللَّهِ , كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَعْنَى ؟ الْإِمَامُ الْمَعصُومُ حُجَّةُ اللَّهِ يَعْنِي اللَّهُ احْتَجَّ بِهِ وَ جَعَلَهُ الحُجَّةَ الْوَاضِحَةَ وَ الْبَيَانَ الْلائِحَ لِكُلِّ مَخْلُوقَاتِهِ , يُمْكِنُ أَنْ تَعْلُو حُجَّتُهُ حُجَّةً ؟ لَا يُمْكِنُ هَذَا , هَذَا يَكُونُ حِينَئِذٍ نَقْصٌ نَسَبُهُ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى كَامِلٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَ لَا يَشُوبُهُ النقص , كَمَا أَنَّ كَلَامَهُ كَامِلٌ , كَمَا أَنَّ خَلْقَهُ كَامِلٌ , كَمَا أَنَّ فِعْلَهُ , كَمَا أَنَّ عِلْمَهُ كَامِلٌ , حُجَّتُهُ كَامِلَةٌ أَيْضًا وَ لَا تَعْلُوهَا حُجَّةٌ وَ لَيْسَ فَوْقَ حُجَّةِ اللَّهِ مِنْ حُجَّةٍ , الْإِمَامُ هُنَا يَفْتَحُ بَابَ المِحَاجَّةِ لِاجْلِ الْمُدَارَاةِ , لِاجْلِ مُدَارَاةِ الْخَالِقِ يَفْتَحُ بَابَ المِحَاجَّةِ عَلَى مِصْرَاعِيهِ , وَ الْإِمَامُ يَفْتَحُ بَابَ المِحَاجَّةِ بِسَيْفِهِ , بَابَ المِحَاجَّةِ بِلسَانِهِ , يَعْلَمُهُ , يَفْعَلُهُ وَ بِكُلِّ شَيْءٍ , لَكِنِ الْإِمَامُ هُنَا يَفْتَحُ بَابَ المِحَاجَّةِ لِلنَّاسِ فَكُلُّ مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا وَ يَحْتَجُّ بِهِ فَإِنَّمَا هَذِهِ الحُجَّةُ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا إِنَّمَا هِيَ فَرْعٌ عَنِ الحُجَّةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَطْلُوقَةِ وَ لِذَلِكَ الْإِمَامُ أَوْلَى بِكُلِّ تَلَكُمُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي إِشَارَ إِلَيْهَا فِي خُطْبَتِهِ الشريفة , وَ الَّتِي لَمْ يُشِرْ إِلَيْهَا , وَ إِنَّمَا الْإِمَامُ هُنَا إِشَارَ إِلَى عَنَاوِينَ , إِشَارَ إِلَى رَمُوزِ , هَذِهِ الرَمُوزِ تُشِيرُ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ , أَنَّ الْإِمَامَ أَوْلَى بِكُلِّ شَيْءٍ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَ سَلَامِهِ عَلَيْهِ .

أما ما المراد من أولى ؟ ... هذا الشيء افضل من هذا الشيء , هذه صيغة افعل ( أولى ) صيغة افعل , و صيغة افعل في لغة العرب إنما يُستفاد منها في باب التفضيل و لذلك يُقال لها في اصطلاح النحاة ( افعل التفضيل ) صيغة افعل , افعل التفضيل , معروفة بين علماء النحو , ف ( أولى ) من هذا القبيل , اولى , أما ما المراد هنا من كلمة ( أولى ) أولى بالنتيجة مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْوَلَايَةِ , وَ الْوَلَايَةُ تُنطَقُ بِالْفَتْحِ وَ بِالْكَسْرِ , يُقَالُ

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ولاية و يُقال ولاية , بعض اللغويين من قال الولاية و الولاية بمعنى واحد و ذهب الى هذا الرأي جملة من اللغويين و حتى من المحدثين , من مُحدثي الطائفة , علماء الطائفة ما يُفترقون بين الولاية و الولاية لكن التحقيق بالنسبة للعبد انّ ( الولاية ) فارق في دلالتها عن الولاية , بالنتيجة و إن كانت الولاية مع الولاية تتحدان في معنى لكن الولاية اوسع و اعم و لذلك عُبر في القرآن ( هنالك الولاية لله الحق ) الولاية بالفتح الولاية بنحو اعم , على اي حال لا اريد ان ادخل في هذا البحث اللغوي فيشُدُّ بنا الكلام عن اصل المطلب , لكن ما المراد من معنى ( الولاية او الولاية ) و بالنتيجة لها دلالات لغوية متعددة , الولاية او الولاية تأتي بمعنى السلطنة , صاحب الولاية يعني صاحب السلطان , و الولاية و الولاية تأتي بمعنى النصرة , و اولياء الرجل انصاره , الذين ينصرونه , و لَمَّا يقولون ( اولياء ) يعني خاصة انصار الرجل الذين ينصرون فكرته التي يحملها , الامر الذي يدعو اليه , قد يكون امراً دينياً , قد يكون امراً دنيوياً , حتى هذا الذي يقطع الطريق و ينهب اموال الناس , ايضاً اصحابه يمكن ان يُعبر عنهم في لغة العرب باوليائه , و قد يكون امراً دينياً و قد يكون لا , لِطَلَبِ الثَّأْرِ , فالذين ينصرونه في طلب ثأره , قُتِلَ شخص من اقربائه و يريد ان يطلب بثأره , الذين ينصرونه . كان ثأره حقاً ام باطلا . يقال لهم اولياء ايضاً , فالولاية او الولاية تأتي بمعنى السلطنة اولاً , ثانياً تأتي بمعنى النصرة , و ثالثاً تأتي بمعنى المحبة , و فلان وليُّ فلان يعني مُحِبُّ له , صديق له , و الولاية ايضاً تأتي بمعنى القرية , فلان وليُّ فلان , قد يكون قريباً منه , تارةً هذا القرب قد يكون قريباً رَحِمياً نتيجة حُمة النسب من الارحام ( اولو الارحام ) يُعبر عنهم في الكتاب الكريم بل في لغة العرب , بالنتيجة اولوا الارحام اَمَّا قِيلَ لَهُمْ ( اولو الارحام ) لانه من معاني الولاية هي هذه العلاقة الرَحِمِيَّة او حُمة النسب فيما بين هذا الرجل و بين رجل آخر او بين طائفة اخرى , فالولاية من جملة معانيها السلطنة كما قُلت , النصرة كما قُلت , و كذلك القرية ايضاً من معاني الولاية , القرية هنا تارةً قد تكون القرية القلبية , قد تكون القرية الرَحِمِيَّة , بالنتيجة القرب , و الولاية كذلك تأتي بمعنى المحبة و قد تأتي الولاية كذلك بمعنى انه العمل المتفرع عن عمل السلطان , قد يأتي معنى الولاية , و دلالات اخرى كما يُقال فلان والٍ او له ولاية المصر الفلاني و اَمَّا كانت له الولاية لانّ ولايته مُتَفَرِّعة عن ولاية الخليفة او السلطان الاكبر , قد يأتي بهذا المعنى و دلالات اخرى في اللغة , لكن المراد هنا من قول الإمام صلوات الله و سلامه عليه ( انا اولى الناس بالله ) يعني انا اقرب الناس الى الله , المراد من الولاية هنا القرب و بالنتيجة القرب من الله يُعطي للعبد النصرة , يكون الله ناصره , و يُعطي للعبد كذلك المحبة لانّ الله يُحِبُّه و مَنْ احبَّهُ الله يجب على العباد ان يُحِبُّوه , يجب على العباد ان ينصروه , و يُعطي كذلك معنى الولاية المطلقة في كل جنباتها , التكوينية و التشريعية , لانهم اقرب الى الله فكانوا الاكمل , فلانهم الاكمل اعطاهم الله تمام فيضه , و من جملة الفيض الذي اسبغهُ عليهم

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ولايته التكوينية و التشريعية و سائر التفصيلات الاخرى التي تتعلق بهذا الباب , اولى هنا بمعنى اقرب , المراد هنا ( اولى ) عبارة اولى , اولى الناس بالله , اولى الناس بابراهيم , اولى الناس بنبينا , اولى الناس بكتاب الله , اقرب , اقرب هذا المعنى العام .

اما اذا اردنا ان نأتي الى خصوصيات كل معنى , كل فقرة , قطعاً لها دلالة خاصة , لكن عبارة ( اولى ) في كل الخطبة الشريفة , اولى الناس بالله , بآدم , بنوح , بابراهيم , بموسى , بيسى , بنبينا , بكتاب الله , المراد هنا ( انا الاقرب ) يعني انا اقرب الى الله , انا اقرب الى آدم , انا اقرب الى نوح , انا اقرب الى ابراهيم , وهكذا انا اقرب الى كتاب الله , هذا المعنى العام لكلمة ( اولى ) اما اذا اردنا ان ندرس خصوصيات كل فقرة , ايضا لكل فقرة دلالة خاصة بها ( انا اولى الناس بالله ) انا اقرب الناس الى الله سبحانه و تعالى و انا ولي الله , و المراد ( ولي الله ) يعني انا الذي يرجع الي حق الله , فالإمام لما هنا كان يُنشد الله حقه أما حقه حق الله سبحانه و تعالى فهو ولي الله و انّ الباري سبحانه و تعالى جعل حقه و جعل ما يريدُه سبحانه و تعالى و ما لا يريدُه بيد وليه صلوات الله و سلامه عليه فهو اقرب الخلق اليه و اهل البيت اقرب الخلق الى الله و لذلك افاض عليهم تمام فيضه , ايس من الثابت عندنا انهم احب الخلق اليه , هذا ثابت عندنا , ما اعتقد مسلماً يشك في هذا المعنى , ما اعتقد مسلماً يشك في انّ النبي صلى الله عليه و آله , نعم ربما ابناء العامة يشكّون في قضية اهل البيت , اما مسلم و إن كان ابناء العامة اذا اردنا ان نرجع الى الواقع فليس بمسلمين , على اي حال , ما يوجد مسلم يشك انّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم هو احب الخلق الى الله , ما يوجد مسلم يشك في هذا , ابدأ , اما في الشيعة لا يوجد من الشيعة من يشك , نعم إلا ان يكون ابوه شيعياً , أمه شيعية و يُنسب الى التشيع هكذا نسبة عقوية و إلا من كان من شيعة اهل البيت ما اعتقد احداً يشك , لا اقصده لا يوجد في مجتمع الشيعة من لا يشك في هذا الامر , لا , اقصده من الشيعة , فارق ( من الشيعة ) و مجتمع الشيعة , في مجتمع الشيعة كثير من الناس الذين وُلدوا في عوائل شيعية و ما هم بشيعة , من كان شيعياً ما اعتقد احداً يشك في انّ اهل البيت احب الخلق الى الله , اذا ثبتت هذه المقدمة , انهم احب الخلق الى الله سبحانه و تعالى , يترتب عليها امران , الامر الاول , قطعاً انّ الله لا يمكن ان يُحبهم و يكونون احب الخلق اليه ما لم يكونوا افضل الخلق و إلا يكون نقصاً يُنسب الى الذات الالهية , اذا كان يوجد في هذا الوجود و في هذا الخلق من هو افضل منهم و الباري يُحبهم , يُحب اهل البيت اكثر من ذلك , هذا نقص قطعاً يُنسب الى الله سبحانه و تعالى , هذا نقص يُنسب الى الله , فلما كانوا احب الخلق , انما كانوا احب الخلق لانهم افضل الخلق , فلما كانوا افضل الخلق و لمّا كانوا احب الخلق و انّه لا يوجد مخلوق يُحبّه الباري كحُبهم بل جعل حُبهم حبه , من احبهم احب الله , من ابغضهم ابغض الله , فحينئذ

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ج ٧

ليس من البخل انّ الباري سبحانه و تعالى لا يُسبغ عليهم تمام فيضه؟! حينئذ يكون الباري بخيلا , كما أحبهم تمام الحب اسبغ عليهم و إلا اذا تصوّر انه يُحبهم تمام الحب و لهم تمام الفضل و يُعطيهم كما يُعطي سائر الخلائق , هذا خلاف الحكمة الربّانية , هذا خلاف الجود الإلهي فلذلك اعطاهم تمام فيضه , اعطاهم تمام عطائه , اعطاهم تمام نعمته سبحانه و تعالى , فهّم اولى الناس بالله , هّم اقرب الناس الى الله سبحانه و تعالى و لذلك كانوا وجهاً لله , كانوا باباً لله , كانوا عيناً لله , كانوا اذنأ لله , اقرب الناس الى الله سبحانه و تعالى , هذا معنى ( اولى الناس بالله ) و هذا البيان بيان اجمالي و إلا التفصيل في هذا المطلب يحتاج الى كلام طويل ( ايها الناس من يُحاجني في آدم فانا اولى الناس بآدم ) قلت , اولى , اقرب بالشكل الاجمالي , اما هنا لا , ليس المراد انّ الإمام الحجة اقرب الى آدم , هو الذي يتقرب الى آدم و انما آدم يتقرب الى الإمام الحجة لكن اولى , اقرب , قلت في البداية انا , عبارة ( اولى ) بشكل عام في الرواية معناها اقرب , اما اذا اردنا ان ندخل في تفاصيل العبارات , كل عبارة لها دلالة ( اولى الناس بالله ) و انما نفهم هذه المعاني لا هكذا جُزافاً , استناداً لما نجده في كلمات اهل البيت , استناداً لما نجده في روايات اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين ( اولى الناس بالله ) الإمام الحجة يتقرب الى الله بل هو اصلاً كما نقول ( الإمام الحجة يتقرب الى الله ) هذا المعنى في حقيقته من جهة مجازية مقبول , اما من جهة حقيقية معنى خاطيء لانّ الإمام ما هو بعيد عن الله حتى يتقرب الى الله , الذي يتقرب انا و انت , نحن البعداء عن الله نتقرب شيئاً فشيئاً , و انما قيل له تقرب , تفعل , يعني شيئاً فشيئاً , كلما نعمل عملاً صالحاً نتقرب الى الله , كلما نحمل فكرة صالحة تعيش في اعماقنا نتقرب بها الى الله شيئاً فشيئاً , اما الإمام هو قرينة الله , الإمام هو وجه الله , و هل يوجد اقرب الى الله من وجهه؟ هو الانسان , اصلاً يمكن ان نقول وجه الانسان قريب من الانسان , اصلاً وجه الانسان هو الانسان , هل يوجد اقرب من وجه الله الى الله؟ اصلاً عبارة ( يتقرب ) مجازاً نقولها لاهل البيت و إلا حقيقة اهل البيت ما هم ببعيدين حتى يتقربوا الى الله , اهل البيت ما هم بالذين يحتاجون الى التقرب شيئاً فشيئاً , نحن الذين نحتاج الى هذا المعنى , شيئاً فشيئاً نتقرب الى الله , فلما اقول انّ الإمام اولى الناس بالله , الإمام ما هو ببعيد عن الله , معنى القرب هنا معنى مجازي و انما هو حجة الله , هو وجه الله سبحانه و تعالى , على اي حال قلت هذا المعنى فيه تفصيل كثير و ربما معنى التقرب و انّ الإمام لا يتقرب الى الله , هذا معنى واسع لا يمكن بيانه في هذه الدقائق القصيرة .

اما ( اولى الناس بآدم ) الإمام يعني كما نقول ( اقرب ) المراد هنا الإمام يتقرب من آدم؟! كيف يمكن هذا؟! لا يمكن , لا يمكن ان يتقرب الافضل من المفضول , هناك مفضول , هناك فاضل و هناك افضل , و آدم هناك من الانبياء من هو افضل منه , هو آدم يلزم عليه ان يتقرب من الفاضل قبل ان يتقرب من

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

ج ٧

الافضل , الإمام هو الافضل و هناك من الانبياء من هو فاضل و آدم مفضل و إلا اولى العزم افضل من آدم , اولى العزم بالنسبة لآدم آدم يتقرب اليهم و اولى العزم يتقربون الى اهل البيت , هناك مفضل و فاضل و افضل و آدم مفضل ( لم نجد له عزما ) القرآن يُعبر عنه ( و لقد عهدنا الى آدم فنسي و لم نجد له عزما ) و اولى العزم ارقى رتبة من آدم و آدم مفضل و اولى العزم فاضلون فهو يتقرب من الفاضل و الفاضل يتقرب من الافضل , فالمراد هنا ( اولى الناس بآدم ) يعني ابي اكثر الناس فضلاً على آدم و آدم يدين لي و انما آدم قبلكت توبته باسمائه , باسماء اجداده صلوات الله عليه , باسماء اهل البيت , و انما آدم سجدت له الملائكة لأي شيء ؟ يعني آدم قبل الخطيئة فاما نال من الفضل ما نال بعد ان علموه الاسماء ( و علم آدم الاسماء كلها ) و انما اسماء اهل البيت مظاهر تلکم الحقائق التي علمها آدم , ففضيلة آدم قبل خطيئته انما كانت بتلك الاسماء , و عيش آدم في جنته لانه يحمل تلك الاسماء , فلما كانت الخطيئة و نزل الى الارض ما قبلكت توبته إلا بتلك الاسماء , فآدم في وجوده , في بدايته , في نهايته انما كان بفضل اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين , و آدم انما هو مولى للإمام المعصوم , ايس اهل البيت اولياء النعم ؟ اهل البيت اولياء النعم و الانبياء شيعتهم و النعم تصدر من اهل البيت على الانبياء لا من الانبياء لأهل البيت , ايس هذا في رواياتنا , هذا المعنى جلي في رواياتنا , و لما نسلّم على اهل البيت انهم اولياء النعم , النعم صادرة من اهل البيت على الانبياء , ربما فيما سلف هذه الرواية مراراً و تكراراً ذكرتها ( و ان من شيعته لابراهيم ) من شيعة علي صلوات الله عليه , في روايات اهل البيت هكذا ورد , ايس ابراهيم لما رأى الانوار و سأل الباري عن صفات الشيعة و ذكر له الباري من ضمن صفاتهم سجدة الشكر و الرواية مفصلة , راجعها في مظانها , فيما سلف ذكرتها , و الرواية تقول لما نزل ملك الموت على ابراهيم , ابراهيم طلب من ملك الموت ان يموت و هو ساجد سجدة الشكر تشبهاً بشيعة اهل البيت , تشبهاً , تشبهاً بشيعة اهل البيت ابراهيم اراد ان يخرج من هذه الدنيا و هو يتشبه بشيعة اهل البيت , فالانبياء بالنتيجة موالى نعمة لاهل البيت صلوات الله عليهم ( موالى نعمة ) كلمة مولى تحمل معنيين , مولى تعني سيد , و مولى تعني عبد , اهل البيت اولياء النعم , موالى النعم يعني سادتهم , و الانبياء موالى نعمة ايضاً , يعني عبيد نعمة عند اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين و هذا المعنى واضح في رواياتنا , انه اهل البيت من طينة , و الانبياء و الشيعة من طينة واحدة , الانبياء و الشيعة من طينة واحدة , و اهل البيت من طينة واحدة , فالمراد ( اولى الناس بآدم ) يعني لي من الفضل على آدم ما اكون اولى به و انما يكون اولى به كما ورد , هو ايس النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ؟ اولى من المؤمنين بانفسهم ما معناه ؟ يعني يتصرف بهم ما يشاء , المراد نفس هذا المعنى و آدم انما هو في عداد المؤمنين , آدم انما هو في عداد شيعة اهل البيت و آدم انما نجا باسماء اهل

ج ٧

الحجة الاطلاقية للإمام المعصوم عليه السلام

البيت صلوات الله عليهم اجمعين , فالمراد هنا ( أولى ) أنّما آدم مُتَفَرِّعٌ عَنِّي , يعني مَنْ ارَادَ ان يُحَاجَّني في الله فانا اقرب خَلْقٍ الى الله , و ما يوجد بُعد فيما بينه و بين الله سبحانه و تعالى , و مَنْ ارَادَ ان يُحَاجَّني في آدم فانا اولى الناس بآدم و أنّما انا المُتَفَضِّلُ على آدم و آدم مُتَفَرِّعٌ عني , فالذي يريد ان يُحَاجَّج , يُحَاجَّج بالفرع ام بالاصل ؟ آدم أنّما هو فَرَعٌ مِنِّي , و لذلك له الحُجَّةُ المطلقة .

ربّما الوقت طال بنا و تَمَّتْ الرواية ان شاء الله نأتي عليها في يوم الجمعة القادم لكن الخلاصة التي نَحْتَم بِهَا الحديث , الرواية تريد ان تُشير الى هذا المعنى , تُشير الى معنى الحُجَّةِ المطلقة للإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه , الحُجَّةُ التي ليس فوقها من حُجَّة , و الحُجَّةُ التي لا تُقَارَعُ و الحُجَّةُ التي لا يمكن ان تُقام عليها حُجَّةٌ لأنّ هذا نَقْصٌ يُلْحَقُ بِحُجَّةِ الله سبحانه و تعالى , و على هذا اذا كانت حُجَّةُ الإمام حُجَّةً مطلقة و حُجَّةً بَيِّنَةً و حُجَّةً واضحة , اذن هل يَحَقُّ لنا ان نقول او ان نتصوّر , يَحَقُّ لنا حينئذ ان نتصوّر بما أنّ الإمام غائب عن الانظار فكأنّهُ مُنْقَطِعٌ عن واقعنا , لا يَحَقُّ لنا حينئذ ان نتصوّر هذا المعنى لانّنا اذا تصوّرنا هذا المعنى نقَدِّحُ في حُجَّةِ الله و هذا قَدِّحٌ في التوحيد , لا يَحَقُّ لنا حينئذ ان نتصوّر , صحيح الإمام غائب عن الانظار صلوات الله و سلامه عليه , صحيح يَصْعُبُ علينا ان نَصِلَ اليه الوصول الجسدي , الوصول المادي , صحيح هذا من المسائل الصعبة علينا , لا يكون سهلاً علينا لكن لا يعني هذا أنّنا نتصوّر أنّ الإمام صلوات الله و سلامه عليه لَمَّا كان غائبا عن الانظار يعني هو بعيد عَنَّا , يعني هو بعيد عن حياتنا , فإذا كُنّا نتصوّر هذا المعنى , هذا قَدِّحٌ في حُجَّةِ الله سبحانه و تعالى , و اذا كُنّا نعيش هذا المعنى , أنّ الإمام لا , غير مُنْقَطِعٌ عَنَّا , اذا كُنّا نعيش هذا المعنى و نتصوّر أنّ الإمام غير مُنْقَطِعٌ عَنَّا و نحن في حياتنا , في شؤوناتنا ما نتعامل مع الإمام بتعامل الآدب , ما نتعامل مع الإمام بالتعامل الذي يريده الإمام , هذا ايضا عَدْرٌ بِعَهْدِ الوفاء للإمام صلوات الله و سلامه عليه , بالنتيجة التقصير يَلْقُنَا من كل جانب , إنّ كُنّا نعتقد الإمام صلوات الله و سلامه عليه مُنْقَطِعٌ عَنَّا فهذا قَدِّحٌ في حُجَّةِ الله و هذا القَدِّحُ يستلزم القَدِّحُ في التوحيد و حُجَّةُ الله حُجَّةٌ ثابتة ليس من فوقها حُجَّةٌ ابدأ , و اذا كُنّا نعيش هذا المعنى , أنّ حُجَّةِ الإمام سارية في كل حياتنا و نحن لا نتعامل معها بالآدب الذي يُناسبها , هذا ايضا عَدْرٌ بِعَهْدِ الوَلايَةِ , عَدَمُ وفاء للإمام صلوات الله و سلامه عليه .

اللهم يا رَبَّ الحُسَيْنِ , يَحَقُّ الحُسَيْنِ , اشْفِ صَدْرَ الحُسَيْنِ بِظَهْوَرِ الحُجَّةِ عليه السلام

ملاحظة :

- (1) الافضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الاخطاء المطبعية .
- (2) و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجَّلة من الوجه الاول و الثاني للكاسيت فيُرجى مُراعاة ذلك

( و نسألُكم الدعاء لِتَعْجِيلِ الفَرَجِ )